أزواج النبى صلى الله عليه وسلم

صفية بنت حيى

(عقيلة بنت النضير)

تأليف

عبد الرءوف البهنساوى

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢٠٠٢/٢٠٠١

الناشر: مكتبة العلم والإيمان
ميدان محطة - ش الشركات - دسوق - كفر الشيخ
تليفون ٥٤٠٢٨٦
رقم الإيداع : /١٩٩٩م
الترقيم الدولي : ISBN 977-308-
جمع وإخراج : وحدة كمبيو جرافيك
بمكتبة العلم والإيمان للنشر والتوزيع
حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر
الطبعة الثانية : ٢٠٠٢/٢٠٠١
تحذير : يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الإقتباس بأى شكل من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر .

« وأمر صلى الله عليه وسلم بصفية فحيزت خلفه
وألقى عليها رداءه فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه »

(السيرة النبوية)

(وصحيح مسلم)

• صفيه بنت حُيى •

أبوها

حيى بن أخطب

زواجها :

سباها الرسول صلى الله عليه وسلم فى خيبر، فاصطفاها لنفسه .

صداقها :

أعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها ، وكان عتقها صداقها (١).

---

(١) صفة ابن سعد ٢ / ٢٨٤ والاستيعاب ٤ / ١٨٧٢ والإصابة

حدث مولى لصفية يدعى كنانة

وقيل هو ابن أخيها قال - « قدمت صفية

فى حجابها، على بغلة لترد عن عثمان . فلقينا

الأشتر . هو النخعى ، فضرب وجه البغلة، وهو لا يعرف

راكبتها، فقالت لى صفية :-ردنى لا تفضحنى !.

ثم وضعت معبراً بين منزلها ومنزل عثمان، فكانت تنقل إليه

الطعام والماء ، وهو فى محنة الحصار .(١).

وماتت صفية حوالى سنة خمسين ، والأمر مستقر لمعاوية ، ودفنت

بالبقيع، مع أمهات المؤمنين ....

حديثها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرَّج فى الكتب الستة، ومن

الذين رووا عنها ابن أخيها ومولاها كنانة، ومولاها الآخر يزيد بن متعب،

والإمام زين العابدين على بن الحسين، ومسلم بن صفوان، فى عدد من

حفاظ التابعين رضى الله عنها وعنهم .

ولم يعصم صفية مما كانت تخاف ، تقربها من عائشة وحفصة

فما أكثر ما سمعت التعريض جهراً وتلميحاً بالدم اليهودى

الذى يجرى فى عروقها؟! وما أكثر ما صكت أذنيها

---

(١) الإصابة ٨ / ١٢٨ والنقل منها .

سهام جارحة، تأبى عليها أن
تسكن وتطمئن ، في ظل أكرم زوج!

والذى آلم صفية أن عائشة وحفصة اللتين انضمت
إليهما كانتا تشاركانها الأصل في الدين ضمها،
ومفاخرتها بأنهن قريشيات أم عربيات ، وهى الأجنبية الدخيلة.

وبلغ صفية كلام عن حفصة وعائشة، فلما حدثت النبي به وهى
تبكى قال صلى الله عليه وسلم :- ألا قلت :- وكيف تكونان خيراً
منى، وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟!(١)

ونزل كلام الرسول على صفية برداً وسلاماً، وكان لها منه حمى وملاذ.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحس غربة صفية، في دوره بين نسائه
، فيدافع عنها كلما أتيحت له فرصة.

حدث أنه كان في سفر وصفية وزينب بنت جحش فاعتل بعير
صفية وفي بل زينب فضل ، فقال لها :- «إن بعير صفية اعتل ، فلو
أعطيتها بعيرك».

أجابت في ترفع وازدراء :- « أنا أعطى تلك اليهودية ؟ ».

فولى الرسول عنها مغضباً، وتركها شهرين أو ثلاثة لا

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات.

بقربها، إو قيل «فهجرها لذلك،
ذا الحجة والمحرم وبعض صفر، ثم أتاها
بعد ه وعاد إلى ما كان عليه معها »(١)..

ولم تحرم صفية هذه الحماية حتى آخر أيامه عليه الصلاة والسلام روى أن أمهات المؤمنين اجتمعن حول فراش الرسول صلى الله عليه وسلم فى مرضه الأخير ، فقالت صفية :- إنى والله يا نبى الله ، لوددت أن الذى بك بى، فما كان من أزواجه إلا أن غمزن بيصرهن فما راعهن إلا أن قال صلى الله عليه وسلم:-«مَضْمِضْن»

تساءلن فى دهشة من أى شئ؟

قال :- « من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة »(١).

ولحق الرسول بربه الكريم، وافتقدت صفية، تلك الحماية الطيبة، فما نس الناس أن ها مهاجرة من سلالة يهود وما أنفوا من مهاجمتها من تلك الثغرة التى لم يكف لستدها حسن إسلامها، وزواجها من النبى عليه الصلاة والسلام .

حدثوا أن جارة لها أتت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات من حديث السيدة عائشة.

فقالت :- « يا أمير المؤمنين إن صفية تحب السبت وتصل اليهود » فبعث عمر إلى صفية يسألها عن ذلك فأجابت :-«أما السبت فإني لم أحبه منذ أن أبدلنى الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لى فيهم رحماً فإنىً أصلها !».

ثم انثنت إلى جاريتها فسألتها عما حملها على مثل هذا الافتراء ، فأجابت الجارية :- الشيطان .

وردت صفية :-«إذهبى فأنت حرة»(١).

واندفعت صفية راضية أو كارهة، تشارك فى المعركة السياسية التى بدأت فى عهد عثمان وكان موقفها إذ ذاك شبيهاً بموقف بين عائشة والزهراء، فبالرغم من حرصها على مودة عائشة التى كانت حينذاك ذات نفوذ سياسى قوى، ومكانة فى الدولة الإسلامية رفيعة، لم تألِ صفية جهداً فى الولاء لأمير المؤمنين عثمان الذى ما فتئت عائشة تحرض عليه، حتى بلغ بها الأمر أن دلّت قميص رسول الله من بيتها وصاحت فى المسلمين :-

---

(١) ابن سعد في الطبقات (مرجع سابق).

« يأيها الناس، هذا قميص
رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنَّته

• زوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى •

* ثم انتقلت صفية إلى دور النبى فواجهها هناك مشكلة محيرة، كانت عائشة ومعها حفصة وسودة فى جانب، والزوجات الأخريات فى جانب أخر تقف فيه السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنهن .

وكان على صفية أن تختار، وإنه لموقف صعب فما كانت فى ذكائها بالتى تناصب الزوجة الأثيرة أو الابنة الغالية عداء أو شبه عداء .

ثم اسعفتها لباقة طبعها وواتاها حذرها الموروث، فقررت أن تتقرب من عائشة وحفصة والزهراء جميعاً.

وكان مظهر تقربها إلى ابنتى أبى بكر وعمر، إظهار استعدادها للانضمام إليها .. وأما الزهراء فأهدتها صفية بنت حيى حلية لها من ذهب، رمزا للمودة وإعلان لمسالمتها (١).

ولعل صفية أرادت أن تحتمى بهذا الموقف اللبق، مما

---

(١) الإصابة جـ١٢٧ .

كانت تخاف من تعريض
بأصلها اليهودى، وتذكير بما بين قومها
والإسلام من عداء مستحكم مرير.

وما كان لها، فى الحق أن تخشى أذى من الزهراء فإنها رضى الله عنها كانت أحرص الناس على الإسلام، وأبر بأبيها من أن تشارك فى هذا الضجيج النسوى، اللهم إلا أن تدفع إلى شئ من ذلك دفعاً، كالذى أشرنا إليه من سفارتها لزوجات النبى عند أبيها صلى الله عليه وسلم . فى أمر السيدة عائشة.

وإنما الخوف كل الخوف من عائشة، فى غيرتها العارمة، وضيقها بكل ضرة حسناء تدخل بيت المصطفى وتشاركها فيه.

ولما سألها صلى الله عليه وسلم عما حملها على ذلك أجابت:- «بلغت من قومى مالا يخفى عليك، فقلت:- إن كان نبياً فسيخبر وإن كان ملكاً استرحت منه».

فتجاوز عنها الرسول ، ومات «بشر بن البراء» من أكلته التى أكل فلعل أبا أيوب الأنصارى، ذكر هذه الفعلة اليهودية، حين بات ساهرا حول القبة التى دخل فيها صلى الله عليه وسلم على صفية عقيلة بنى النضير.

وبلغ الركب المدينة وفى حديث أنس رضى الله عنه قال :-«فعثرت الناقة الضباء، وندرت صفية فقام النبى صلى الله عليه وسلم فسترها وقد أشرفت النساء فقلن :-

«أبعد الله اليهودية »(١).

وآثر النبى ألا يدخل بالعروس على نسائه، «وقد خرجت جواريهن يتراءينها ويشمتن بصرعتها ».

فأنزلها فى بيت لصاحبه «حارثة بن النعمان».

وتسامعت نساء الأنصار بها، فجئن ينظرن إلى جمالها، ولمح الرسول زوجته عائشة تخرج متنقبة على حذر، فتتبع خطواتها من بعيد، فرآها تدخل بيت حارثة بن النعمان، وانتظر حتى خرجت، فأدركها وأخذ بثوبها وسألها ضاحكاً :-«كيف رأيت يا سعيراء؟».

فأجفلت عائشة، وقد هاجت غيرتها، ثم هزت كتفها وهى تجيب «رأيت يهودية». ورد الرسول :

«لا تقولى ذلك، فإنها أسلمت وحسن إسلامها!».

ولم تلق عائشة أنها جميلة حقاً، ولعلها زادت فحدثت

---

(١) السيرة ٢ / ١٦٥ وفاء الوفا ١ / ٢٧٠ .

حفصة:-«قال :-نعم والله، قال

عمى :- أتعرفه وتثبته؟ قال:- نعم . قال:-

فما فى نفسك منه؟ أجاب:- عداوته والله ما

بقيت»(١).

وهناك خارج القبة التى دخل فيها الرسول على صفية، بات رجل من الأنصار ، هو «أبو أيوب خالد بن زيد» يقظان ساهراً، متوشحاً سيفه، يطوف بالقبة على غير علم من رسول الله، فلما أصبح صلى الله عليه وسلم سمع حركته ورأى مكانه فسأله:-

«مالك يا أبا أيوب؟».

أجاب :-« يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك».

فيقال أن الرسول دعا له قائلاً:-«اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى». أو قال :-«رحمك الله يا أبا أيوب».

ولم يكن المسلمون قد نسوا بعد، تلك الفعلة الشنعاء لامرأة من يهود خيبر، هى زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مِشكم، أحد زعمائهم القواد .

---

(١) الأصابة . عيون الأثر :- خلافاً لما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.

دخلت زينب هذه على الرسول
وهو مطمئن بعد أن استسلم اليهود
لمصيرهم ووقعوا الصلح مع القائد المنتصر ، فأهدت
إليه شاة مسمومة وكانت قد سألت بعض أصحابه :- أى
عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ؟ قيل لها :- الذراع.
فأكثرت السم فى الذراع حتى سرى منه إلى سائر الشاة ووضعها
بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه بشر بن البراء فتناول
الرسوول الذراع ، وأعطى ابن البراء قطعة أخرى أكلها غير متريب.
لكن الرسول لم يسغ الذراع، بل لفظها وهو يقول :-
«إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ».
ودعا بامرأة سلام، فاعترفت بأنها سمت الشاة عامدة.
قالت :- إنها فى ليلة عرسها بكنانة بن الربيع، رأت فى المنام أن قمراً
وقع فى حجرتها، فلما صحت من نومها عرضت رؤياها على كنانة،
فقال غاضباً :- « ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً »(١).
ولطم وجهها لطمة ما يزال أثر منها فيه.

---

(١) السيرة ٣ / ٣٥٠ وتاريخ الطبري ٣ / ٩٤ . والسمط الثمين .

ونظر الرسول إلى أثر اخضرار
في عينيها، وقد سره ما سمع من حديثها
وهمَّ يقبل عليها، لكنه أمسك وسأل :-
« ما حملك على الامتناع أولاً؟» أو قال :- ما حملك على
ابائك في المنزل الأول ؟».
وأجابت العروس على الفور :- «خشيت عليك، قرب اليهود».
فزال ما كان في نفسه من جفوة، وأشرق وجهه الكريم بابتسامة
راضية وتسترجع صفية، ذكريات لها عن ارهاص أهلها اليهود بنبي
منتظر يعرفونه من أسفارهم ثم حقدهم وغيظهم يوم استقبلت دار
الهجرة النبي المهاجر - الذي طالما بشرت يهود بقرب مبعثه، تستغل
البشرى لحماية ثروتها بيثرب من كل غاز وطامع، أو تتفاخر بها على
العرب الأميين، فيما تتفاخر من علمها بالكتاب .
تقول صفية بنت حيي بن أخطب:-
« كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع
ولدهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة غداً عليه أبي وعمي مغلسين، فلم يرجعا
حتى كان مع غروب الشمس فأتيا كالين ساقطين
يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما

كنت ، أصنع، فوالله ما التفت
واحد منهما مع مابهما من الغم وسمعت أبا
ياسر وهو يقول لأبى - أهو هو ؟».

• رؤيا العَروس وذكرياتها •

* وانتظر صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى هدأت المناحة، وظن أن الروع قد ذهب عن صفيةأو كاد ، فحملها وراءه وانطلق بها إلى المنزل فى أطراف خيبر على بعد ستة أميال منها فمالى يريد أن يعرس بها، لكنها تمنعت وأبت عليه أن يفعل (١).

فوجدها صلى الله عليه وسلم فى نفسه وشق عليه تمنعها ورفضها ثم استأنف مسيرته راجعاً بعسكرة إلى المدينة، فلما كان بالصهباء بعيداً عن خيبر نزل هناك يستريح، فبدا له أن صفية متهيئة للعرس جاءتها ماشطة . يقول ابن اسحق أنها أم سليم بنت ملحان، أم أنس ابن مالك، فمشطتها وجملتها وعطرتها وظهرت صفية عروساً مجلوة، تأخذ العين بسحرها حتى لتقول أم سنان الأسلمية، إنها لم تر بين النساء أضوأ منها (٢).

---

(١) السيرة ٣ / ٢٤٧ والنقل منها . وتاريخ الطبرى ٨ / ١٢٦ .
(٢) الإصابة ٨ / ١٢٦ .

ووراء جلوة الفرح المرتقب، غابت آثار الحزن والألم وكأن العروس تسيت المذبحة الروعة التى ألفت بأهلها صرعى مجندلين، وأخرجتها من حصن القموص ذليلة أسيرة، تساق بين السبايا! وثمت، أقيمت وليمة العرس حافلة ، وأكل الناس من طيبات خيبر حتى شبعوا ، ثم دخل الرسول على صفية وما يزال فى نفسه شئ من رفضها الأول وأقبلت عليه العروس بادية اللهفة تحدثه حديثاً عجبا: ثم دنا من صفية، وقد بدا له عليها أنها راغبة فى أكثر من حماية النبى الفارس، فألقى عليها نظرة رحيمة وهو يقول لبلال:-« أنُزعت منك الرحمة يابلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟»(١).

ثم أمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه فكان ذلك إعلاماً بأنه صلى الله عليه وسلم، قد اصطفاها لنفسه وكان المسلمون قد قالوا:- ما ندرى أتزوجها أم أتخذها أم ولد، فلما حجبها عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم قد تزوجها .

---

(١) السيرة ١ / ٣٤٥ ، ٤ / ٢٩٤ ، وتاريخ الطبرى ٣ / ١٧٧ .

وفى حديث عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ صفية بنت حيى قال لها :- « هل لك فىَّ؟ قالت:- يا رسول الله ... قد كنت أتمنى ذلك فى الشرك، فكيف إذا أمكننى الله منه فى الإسلام؟».

فأعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها وكان عتقها صداقها (١).

• خربة خيبر •

* انتهت السنة السادسة للهجرة، بعد أن أحدثت فى بيت النبى ضجة ما مثلها ضجة، وتزوج فيها صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث، وابتلى بمحنة الإفك فى أعز زوجاته، صلى الله عليه وسلم وأحبهن إلى قلبه بعد خديجة ، ثم صلح الحديبية.

وبزغ هلال المحرم فى سنة سبع، وهو يتهيأ لمعركة حاسمة تقطع دابر اليهود اللئام الذين كشفت وقعة الخندق عما ينطوون عليه من حقد مرير، وما يبيتون للإسلام من شر وغدر.

وخرج عليه الصلاة والسلام فى النصف الثانى من

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٨٤ والاستيعاب ٤ / ١٨٧٢ .

المحرم إلى خيبر معقل العدو ،

فما أشرف عليها حتى هتف :-«الله أكبر،

خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح

المنذرين» وضربت خيبر :-فتحت حصونها حصناً

حصناً، وقُتل رجالها وسبى نساؤها، وفيهن عقيلة بنى النضير

«صفية بنت حيى بن أبن أخطب التى ينتهى نسبها إلى هارون

أخى موسى عليهما السلام.

وأمها برة بنت شموال أو شموال . ولم تكن قد جاوزت السابعة عشر

من عمرها لكنها، على صغر السن، تزوجت مرتين

تزوجت أولاً من فارس قومها وشاعرهم سلام بن مشكم ثم خلف عليها

كنانة بن الربيعه بن أبى الحقيق(١). صاحب حصن القموص أعز حصن

فى خيبر.

وقد اقتحم الحصن بعد نضال مرير، وجئ بكنانة حياً، وكان عنده

كنز بنى النضير. فسأله صلى الله عليه وسلم عنه فجحد أن يكون

يعرف مكانه، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :-« أرأيت أن

وجدناه عندك، أأقتلك؟»

---

(١) كذا في السيرة ٣ / ٣٤٢ . وتاريخ الطبري . وعيون الأثر ٢ / ١٣٠ .

فلما اكتشف مخبأ الكنز عنده، دفعه صلى الله عليه وسلم إلى محمد ابن سلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن سلمةالذى قتله اليهودى فى المعركة (١).

وسيقت نساء القموص سبايا، وفى مقدمتهن صفية امرأة كنانة، وابنة عم لها، يقودهما بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومر بهما بلال على ساحة امتلأت بالقتلى من يهود فهمت صفية أن تصيح، لكن الصيحة احتبست فى حلقها لا تنطلق أما ابنة عمها فاعولت صارخة ، وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها....

وجئ بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، صفية فى حزنها الصامت وجزعها المكبوت، تحاول أن تتماسك، فى ترفع وكبرياء، وما من أحد يعرف قيم كانت تفكر، وإن بدا أنها تلوذ أمام القائد المنتصر بآخر ما كان لها من عزة وجلال ..

والأخرى تشعث الشعر معفرة بالتراب ممزقة الثياب ، لا تكف عن العويل والنواح .

---

(١) السيرة ٣ / ١٣١ والنقل منها .

قال وهو يشيح بوجهه عنها :-

«أغربوا عنى هذه الشيطانة»(١).

• زواج نساء أهل الكتاب •

* يحل للمسلم أن يتزوج الحرة من نساء أهل الكتاب لقوله تعالى فى سورة (المائدة) الآية(٥):-

بسن الله الرحمن الرحيم

{ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ..... غيرمسافحين ولا متخذى أخدان }

صدق الله العظيم (سورة المائدة آية ٥) قال بن المنذر :-

ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك .

وعن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن زواج الرجل النصرانية أو اليهودية قال :- وحرم الله المشركات على المؤمنين ، ولا أعرف شيئاً من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة:- (ربها عيسى، أو عبد من عباد الله).

---

(١) السيرة ٣ / ٣٥١ . وتاريخ الطبري ٣ / ٩٥ . والمحبر ٩٠ .

• **حكمة إباحة التزوج منهن :**

وإنما أباح الإسلام الزواج منهن ليزيل الحواجز بين أهل الكتاب وبين الإسلام فإن فى الزواج المعاشرة والمخالطة بين الأسر بعضها ببعض، فتتاح الفرص لدراسة الإسلام ومعرفة حقائقه ومبادئه .

زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وحكمة تعدد الزوجات

إن الله تعالى قد ائتمنه على أن يبلغ منهجه .. وما دام قد ائتمنه على أن يبلغ منهجه ، فأمانته على نفسه أولى به من أمانته على غيره ،إذن لا تناقش أشياء على موازين أنت تدعي أنها موازين كمال ، ثم تنسب فعل رسولنا إليها ، لتقول:- إن هذه الكمالات غير ثابتة ...

ومن هذه الأشياء مسألة تعدد زوجات الرسول تطرح سؤالاً :-

* هل الرسول جاء والناس يعددون، أو جاء ليشرع التعدد في الزوجات؟ بل الرسول جاء قوم يعددون فوق عدد لم يكن هناك تدعاً بينهم في هذا التعدد، لأن هذه المسألة إن سبحة فيها رسول لم يتزوج، فقد سبقة فيها رسل كثيرون تزوجوا أعداداً متعددة . فلو ضربنا المثل السيد المسيح عليه السلام بأنه لم يتزوج وكان سبب ذلك لأنه لا يستغرق في مكان إلا ليرحل عنه كما تتطلبه دعوته عليه السلام .

فالرسول لم يشرع التعدد ، وإنما جاء والتعدد نظام قائم له ولكل الناس ،لكن الأمر يختلف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى من تبعه من المؤمنين، إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء لم

يتزوج أكثر من أربعة فأمره أن
يمسك أربعاً، ويفارق الباقى، هذا كلام
واضح بالنسبة لمن تبعه من المؤمنين . ولكن لنتذكر
:- هل كانت الإباحة لأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
إباحة لمعدود، أم كانت إباحة للعدد ؟

* الإباحة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لعدد ... أيا كان هذا العدد، أربعة، فإن ماتت واحدة تزوج غيرها مكانها، إن طلق واحدة يأتى بواحدة مكانها، إن طلقهن جميعاً فله أن يتزوج أربعاً غيرهن. إذن فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم له العدد. أما الرسول صلى الله عليه وسلم فليس له العدد، وإنما له المعدود .

والفرق بين العدد والمعدود :- أن المعدود إنما أتيح للرسول بذواته فإن ماتت واحدة لا يأتى بواحدة مكانها، وإن مات الأربعة عند الرسول فليس له أن يتزوج إلا واحدة .

إذن فقد أتيح له المعدود، فهن خصوصهن .قال الله تعالى فى سورة الأحزاب الآية (٥٢):-

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا يحل لك النساءُ من بعدُ ولا أن تبدَّل بهنَّ من أزواج
ولو أعجبك حسنهنَّ إلا ما ملكت يمينك وكان
الله على كل شيء رقيبا (٥٢) ﴾

ذلك حكم ليس لتابع من أتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم . إذن فالعدد
عند تابع «محمد» قد يدون إلى الأربعين... لكن
العدد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إما أن يحتفظ
بأربعة ويسرح الخمسة، وحين يسرح الخمسة فإنهن أمهات
المؤمنين محرمات على سائر المؤمنين .

* إذن فلو سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس نساء، لبقين
أى الخمسة بدون زواج، لأنهن محرمات على الجميع، ورسول الله صلى
الله عليه وسلم حين يشرع لأمته أن يمسكوا أربعة ويسرحوا الباقى
فهذا الباقى لكل منهن أن تتزوج من رجل آخر .

ولكن ذلك بالنسبة إلى الرسول ممنوع، لأن زوجاته محرمات. إذن فليس
لهن إلا أن يبقين زوجات لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأيضاً فالمعنى الذى يريدون أن يغمزوا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم مرفوض فى تاريخه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو فى الخامسة والعشرين تزوج امرأة تكبره بخمسة عشر
عاماً، وهذا على خلاف القاعدة، فى أن الرجل يتزوج
دائماً بمن دونه فى العمر وظل مع خديجة إلى أن
ماتت، ولم يتزوج عليها

كان لابد أن يتزوج بمن تقوم
بمسائله، فتزوج سودة بنت زمعة، امرأة
تقوم بواجب الزوجية، وتزوج عائشة ، وهى فى
السادسة من عمرها ويدخل بها وهى فى التاسعة،
فالسياق الجنسى أو العاطفى ممنوع هنا، بعد ذلك نأتى لنجد
فى نسائه من تبرع بليلتها لضرتها . فهل تتبرع بليلتها إلا بعد
عدل الرسول ؟ ثم تأتى هى وتتبرع بليلتها، ومعنى هذا أنها فى ذاتها
لا تصلح أن تكون امرأة يقضى منها الرجل إربته، فكأنها لم ترد إلا
أن تكون أماً للمؤمنين ومن نسائه، فى الجنة بصفته وساماً من الأوسمة

كذلك نأتى إلى «أم سلمة» وعندها عيال، وتقول لرسول الله :- إنها لم
يعد لها إرب، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يجعلها أماً
للمؤمنين ، ويريد أن يلقن الناس درساً فى أن الإنسان إذا أصيب فى
عزيز لديه ينبغى أن يستقبل المصيبة بما علمنا رسول الله فنقول :-
إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرنى فى مصيبتى، واخلفنى
خيراً منها
حين مات «أبو سلمة» وكانت تحبه قيل لها - قولى ما علمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :- « أهناك خير
من أبى سلمة ؟ فقد استبعدت أن يكون هناك من
هو خير من أبى سلمة ، فرسول الله علمنا
أن هذا الدعاء لابد أن يأتيها

بخير من أبى سلمة

وتزوجها رسول الله، وأصبحت أماً للمؤمنين .

* فكل [زوجة من زوجات] رسول الله صلى الله عليه وسلم قضية إيمانية يريد الرسول أن يثبتها فى المؤمنين... «حفصة» مثلاً يعرضها عمر على أبى بكر وعثمان ويرفضان الزواج بها، ويحزن ذلك فى نفس عمر، فيتزوجها رسول الله .

كل هذا يدل على أن لكل زوجة (قصة) ... ويجب أن يلحظ أنه لم يوسع عليه فى ذلك، بل إنه (ضيق عليه) .

* ذلك ما يمكن أن ترد به على من يقول ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجب أن نفتح المجال لبحث هذه الأشياء، لأنهم حين تكلموا عن رسول الله هكذا، فقد دفعوا المسلمين إلى بيان حقيقة هذه المسألة، فربما كان فى نفوس المسلمين منها شئ .

إنهم يريدون أن يشوهوا نبى الإسلام، لكنهم فى الواقع خدموا (بنى الإسلام)

المراجع

* القرآن الكريم .

* الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى السهيلى ، فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام (الرَّوْضُ والأُنُفُ) . ومعه : - للإمام أبى محمد عبد المالك بن هشام المعافرى المتوفى فى ٢١٣هـ (السيرة النبوية). قدم له وعلق عليه وضبطه [طه عبد الرؤف سعد] .

* الشيخ / محمد متولى الشعراوى (شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها) .

* دكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)(نزاجم سيدات بيت النبوة «رضى الله عنهن») .

* إبراهيم محمد الجمل (فقه المرأة المسلمة).

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	حديث السيرة النبوية	٣
٢	صفية بنت حيي	٤
٣	رؤيا العروس وذكرياتها	١٥
٤	تعريف ذهبي	١٧
٥	زواج نساء أهل الكتاب	٣٠
٦	زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحكمة تعدد الزوجات	٣٢
٧	المراجع	٣٧